الشيوعية فى الاســـلام

بين رأى لجنة الفتوى ورأى السيد جمال الدين الأفغانى

كتب أحد الكتاب بحثاً تناول فيه رأى العالم الصحابى أبى ذر الغفارى فى توزيع المال فى الإسلام ، وانتهى منه إلى القول بوجود الشيوعية فى الإسلام ، فأحالت وزارة الداخلية هذا البحث إلى لجنة الفتوى بالأزهر لإبداء الرأى فيه ، فأصدرت اللجنة فتوى بهذا الصدد قالت فيها :

« إن من مبادئ الدين الإسلامى احترام الملكية ، وإن لكل امرئ أن يتخذ من الوسائل والسبل المشروعة لاكتساب المال وتنميته ما يحبه ويستطيعه ، ويتملك بهذه السبل ما يشاء . وقد ذهب جمهور الصحابة وغيرهم من الفقهاء المجتهدين إلى أنه لا يجب فى مال الأغنياء إلا ما أوجبه الله من الزكاة والخراج والنفقات الواجبة بسبب الزوجية أو القرابة وما يكون لعوارض مؤقتة وأسباب خاصة كإغاثة ملهوف وإطعام جائع مضطر ، وكالكفارات وما يتخذ من العدة للدفاع عن الأوطان وحفظ النظام إذا كان ما فى بيت مال المسلمين لا يكفى لهذا ولسائر المصالح العامة المشروعة كما هو مفصل فى كتب التفسير وشروح السنة وكتب الفقه الإسلامى » .

وبعد أن أشارت اللجنة فى فتواها إلى ما يكون من تطوع القادرين بالإنفاق فى وجوه البر عرضت لمذهب أبى ذر فقالت :

« وذهب أبو ذر الغفارى رضى الله عنه إلى أنه يجب على كل شخص أن يدفع ما فضل عن حاجته من مال مجموع عنده فى سبيل الله ، أى فى سبيل البر والخير ، وأنه يحرم ادخار ما زاد عن حاجته ونفقة عياله . هذا هو مذهب أبى ذر ، ولا يعلم أن أحداً من الصحابة وافقه عليه ، وقد تكفل كثير من علماء المسلمين برد مذهبه ، وتصويب ما ذهب إليه جمهور الصحابة والتابعين مما لا مجال للشك معه فى أن أبا ذر رضى الله عنه مخطىء فى هذا الرأى . والحق أن هذا مذهب غريب من صحابى جليل كأبى ذر ، وذلك لبعده عن مبادئ الإسلام وعما هو الحق الظاهر الواضح ، ولذلك استنكره الناس فى زمنه ، واستغربوه منه ... ولما كان مذهبه داعياً إلى الإخلال بالنظام والفتنة بين الناس طلب معاوية والى الشام من الخليفة عثمان رضى الله عنه أن يستدعيه إلى المدينة — وكان أبو ذر وقتئذ بالشام — فاستدعاه الخليفة ، فأخذ أبو ذر يقرر مذهبه ، ويفتى به ويذيعه بين الناس ، فطلب منه عثمان أن يقيم بجهة بعيدة عن الناس ، فأقام بالربذة بين مكة والمدينة ... وبها مات رضى الله عنه فى خلافة عثمان ..

ويبدو لى أن اللجنة لم تفرق فى فتواها بين الشيوعية والاشتراكية ، مع أن بينهما فرقاً كبيرا ، وعلى هذا فقد خطأت أبا ذر فى رأيه ، وما كان أبو ذر شيوعياً ، ولا يرى هذا الرأى ، ولكنه لا شك كان اشتراكياً ، يدعو إلى رد مال المسلمين على المسلمين . وقبل أن أناقش حكم اللجنة هذا أورد فتوى فى هذا الشأن للمغفور له السيد جمال الدين الأفغانى وهى تخالف فتوى اللجنة تمام المخالفة ، فقد سأله أحد الباحثين عن مذهب الاشتراكية « سوسياليست » الذى ينادى به الغربيون ويرون فيه علاجاً حاسماً للحالة الاجتماعية القائمة فى بلادهم ، وهل هذا المذهب مما يقره الإسلام ويرتضيه فقال السيد رضوان الله :

« الاشتراكية الغربية ما أحدثها وأوجدها إلا حاسة الانتقام من جور الحكام والأحكام وعوامل الحسد فى العمال من أرباب

قريش . على أن عيينة هذا ، لم يدخل الإيمان قلبه — ولعل كل الذين ناصروا المتنبئين من سادات العرب كانوا كذلك — فقد روى أن عيينة لما أسر وطيف به المدينة وهو مكتوف جعل الصبيان يقولون : يا عدو الله ! كفرت بعد إيمانك ؟ فيقول : والله ما آمنت بالله طرفة عين . وهذه العصبية تفسر لنا تفسيراً واضحاً موقف كل متنبىء من عشيرته ، فإن كانت العصبية قوية كثر أتباعه ، وإن كانت ضعيفة قل هؤلاء الأتباع . ومن المشهور فى التاريخ أن ربيعة كانت شديدة الحسد للمضريين لما ظهر النبى منهم ، حتى قال المأمون (لم تزل ربيعة غضاباً على الله منذ أرسل نبيه من مضر) وهذا يفسر لنا كثرة أتباع مسيلمة ، وشدة صبرهم على قتال المسلمين .

(للحديث بقية)

على العمارى
مبعوث الأزهر بالمعهد العلمى بام درمان

الثراء الذين استعملوا ثروتهم فى السفه والسرف ، وبذلوها فى التبذير والترف ، على مرأى من منتجها ، والعامل فى استخراجها من بطون الأرض .. »

« أما الاشتراكية فى الإسلام ، فهى ملتحمة مع الدين الإسلامى ملتصقة فى خلق أهله . . وهذا خير كافل لجعلها نافعة مفيدة ، ممكن الأخذ بها ، لأن الكتاب الدينى وهو القرآن الكريم أشار إليها بأدلة كثيرة منها : إن المسلم أول ما يقرأ من فاتحة الكتاب : الحمد لله رب العالمين ، فيعلم أن للخلق ربا واحداً ، وهو مع سائر الخلق من المربوبين على السواء . ويرى ويعلم أن القرآن أتى على ذكر أرباب القوة ورجال الحرب والغزاة ومن يتولى إمرتهم وحياتهم ، فخاطبهم آمراً ومعلماً ومدافعاً ومبيناً حقوق المستضعفين من الأمة الذين لم يتمكنوا من الاشتراك معهم من ذكر ليكون لهم من ذلك الجهاد وتلك المساعى نصيب إذ قال « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فلله خمسه وللرسول ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير » ، فهذه آية باهرة ، أوجبت على من يسعى مجاهداً ومخاطراً بحياته أن يكون مشتركا معه فى نتيجة غزواته وغنائمه من لم يكن مشتركا فعلا .. وهم لا شك من المستضعفين الذين إنما قعدوا عن الاشتراك فى الجهاد والسعى وراء الغنائم لعلل تختلف أشكالها وأنواعها ، ولكن الله لم يجز حرمانهم ، بل جعل لهم نصيباً من مساعى أولئك الأشداء الأقوياء المجاهدين الخائضين غمرات الموت . »

« كل ذلك تراه مبنياً على حكمة الاشتراك ، ولبث حكم هذه الآية جارياً ، وكان الرضاء به شاملا لجموع المسلمين ، من مجاهد أو قاعد عن الجهاد لعلة ، فبدأ بالدرجة الأولى بعد الله ورسوله بذوى القربى من المجاهدين على درجاتهم ، ثم عطف على من دونهم فى المرتبة الثانية ممن ليس لهم فى المجاهدين أقرباء فقال : واليتامى ، ثم وسع نطاق الاشتراكية فقال : والمساكين ، ثم رأى أن يأخذ نطاقاً أوسع فقال : وابن السبيل ، أى عابره . فتم بذلك الشكل نوع من الاشتراكية لم يكن أوسع منه شكلا ، ولا أنفع .. »

ثم جاء بموضع آخر من الكتاب مقرعاً لمن يكنزون الذهب والفضة ، ثم حبذ وأثنى على الذين يؤثرون على أنفسهم بالمال والإسعاف والإطعام ولو كان بهم خصاصة .

« وهكذا ترى قانون الاشتراكية المعقول فى آيات القرآن تترى ، فلننظر هل عمل بهذا القانون ؟ وما كانت نتائج العمل به

« نعم ، إن الأخاء الذى عقده المصطفى صلى الله عليه و بين المهاجرين والأنصار لهو أشرف عمل تجلى به قبول الاشتراك قولا وعملا . فالمهاجر من المسلمين إنما استطاع أن يفر بدينه راضياً يهجر بلده ، وترك مسقط رأسه ، ومفارقاً أهله وذويه والخروج من ماله ومقتناه ، مسروراً أن يصل إلى دار الهجرة سالماً — والأنصارى ، وهو فى بلده مع أهله وذويه وماله ، راضياً مسروراً أن يشارك أخاه المهاجر بكل معنى الاشتراك حتى لو تطلع الإنسان منا اليوم ، وأشرف على تلك الأرواح الطاهرة لرأى من مجال الاشتراك روحاً وجسداً ، ما يذهل عقله ، ولصح اعتقاده أن عمل الدين وتأثيره فى تلطيف الكتل الجثمانية لا يضارعه مؤثر أو عامل آخر على البشرية ، ولو كانوا يعقلون ... »

« وبعد النبى صلوات الله عليه كان صاحب أكبر منصب وهو الخليفة لرسول الله يسير بسيرة نبيه من الاكتفاء بالقليل من العيش والكفاف منه ، ومجالسة الفقراء ومشاركتهم بمعنى الاشتراك فى مظاهر الحياة الدنيا ونعيمها . فأهل الإسلام مع تمخض سلطان الحرية فيهم لم يروا فى سيرتى الصديق والفاروق رضوان الله عليهما ما يدعوهم إلى أقل تذمر أو تململ ، أو تفكك بمناهضة لسلطانهما ، أو تألب على أشكال حكمهما وإمرتهما أو إحداث شغب بعرقل مساعيهما فى الفتوحات ، بل كانوا يبذلون النفس والنفيس فى طاعة الخلفاء وتأييداً لشوكة الإسلام وتعميم لعدل الشريعة السمحة ... »

وبعد أن أورد السيد الأفغانى جملة من الشواهد الدالة على اشتراكية الخليفتين الأولين ، وما تجلى من ذلك فى سياستهما وتصرفاتهما ، عرض لمذهب أبى ذر فشرحه فى إفاضة وأشاد به وسنعرض لذلك فى المقال التالى .

« المحامى »